



## خدمة الإذاعة العربية

### الحلقة الخامسة

### سفر الجامعة

### برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. بدأنا قبل عدة لقاءات بدراسة سفر الجامعة لسليمان الحكيم، والذي يُعتبر من أسفار الحكمة. وقد عالج هذا السفر معضلة مشاعر الإحباط واليأس عند الإنسان، حيث أكد أن كل شيء بعيد عن الله هو باطل وقبض الريح.

وفي اللقاء الماضي تحدّث سليمان الحكيم عن اختباره الخاص، وكيف حاول أن يعالج مشكلة الإحباط والفشل عن طريق الفرح والضحك وشرب الخمر. فوجد أن كل هذه الأمور باطلة ومؤقتة، ولا تروي النفس حقاً. لكن علمنا أنه بإمكان الإنسان اختبار الفرح الحقيقي عندما يؤمن بالمخلص المسيح.

مستمعي الكريم، يظن الكثيرون أن الحصول على الغنى والشهرة والأموال المادية المتنوعة، وكل ما تشتهيهِ أعينهم، سيجلب لهم السعادة، ويبعد عنهم مشاعر الإحباط والفشل. ولقد تحدّث لنا سليمان الحكيم في سفر الجامعة، عن اختباره الشخصي في هذا المجال أيضاً، فكتب قائلاً:

« فعظمت عملي. بنيت لنفسي بيوتاً، غرست لنفسي كروماً. عملت لنفسي جنّاتٍ وفراديس، وغرست فيها أشجاراً من كل نوع ثمر. عملت لنفسي برك مياه لتسقي بها المغارس المنبثة الشجر. قنيت عبداً وجواري وكان لي وُلدان البيت. وكانت لي أيضاً قنية بقر وغنم أكثر من جميع الذين كانوا في أورشليم قبلي. جمعت لنفسي أيضاً فضةً وذهباً وخصوصيات الملوك والبلدان. اتّخذت لنفسي مغنّين ومغنّيات، وتنعمات بني البشر سيّدة وسيّدات. فعظمت وازددت أكثر من جميع الذين كانوا قبلي في أورشليم وبقيت أيضاً حكمتي معي. ومهما اشتتهته عيناى لم أمسكه عنهما. لم أمنع قلبي من كلّ فرح. لأن قلبي فرح بكلّ تعبي، وهذا كان نصيبي من كل تعبي». لكن ماذا كانت النتيجة؟ أجاب الحكيم قائلاً: « ثم التفتُّ أنا إلى كل أعمالي التي عملتها يداي، وإلى التعب الذي تعبته في عمله، فإذا الكل باطلٌ وقبض الريح، ولا منفعة تحت الشمس» (الجامعة ٢: ٤-١١).

حقاً، إنه اختبار واقعي هذا الذي اختبره سليمان الحكيم. وهو اختبار نستطيع نحن جميعاً كبشر عاديين أن نستفيد منه. لقد كان سليمان الحكيم ملكاً عظيماً، يملك على مملكة واسعة. وكان غنياً يمتلك الثروات الكثيرة، ولقد أعطاه الله حكمة فاقت حكمة كل البشر. وبالإضافة إلى كل هذه العظمة والشهرة، فلقد بنى سليمان لنفسه بيوتاً، وعرس كروماً، وعمل لنفسه جنّات وفراديس، وبرك



## خدمة الإذاعة العربية

مياه. واقتنى العبيد والجواري، وامتلك البقر والغنم الكثير، وجمع لنفسه فضة وذهباً، وما يخص الملوك والبلدان. واتخذ لنفسه مغنين ومغنيات. وتزوج بنساء كثيرات.

وأضاف سليمان الحكيم قائلاً: أنه تعظّم وازدادت ثروته، أكثر من جميع الذين كانوا قبله، وأنه لم يُمسك عينيه عن أية شهوة طلبها. لكن بالرغم من كل تعب هذا، وحصوله على ما يتمناه، وصل إلى هذه النتيجة المؤلمة، مكرراً شعار سفر الجامعة: « فإذا الكل باطلٌ وقبض الريح، ولا منفعة تحت الشمس».

لماذا وصل سليمان الحكيم إلى هذه النتيجة يا ترى؟ أن الكل باطل وقبض الريح، ولا منفعة له؟ وللجواب نقول: لقد اكتشف الحكيم الحقيقة المؤلمة، التي يجب علينا جميعاً أن نعرفها وندركها، وهي أن لا شيء في هذا العالم المادي، يستطيع أن يهبنا السعادة، التي نتوق إليها. فلا العظمة ولا الشهرة ولا المناصب العليا، ولا الغنى الوفير ولا امتلاك البيوت العديدة، والحقول الواسعة، ولا التمتع بكل لذات الجسد وشهوته، بقادر على جلب السعادة إلى نفوسنا، أو حتى إنقاذنا من مشاعر الإحباط والفشل.

إنها بالفعل حقيقة مؤلمة، لكن هذه الحقيقة يجب أن تدفعنا نحو البحث عن مصدر السعادة، وكيفية الحصول عليها. لأن مجرد معرفة الحقيقة هو خطوة لا بأس بها، لكنها لا تستطيع أن تبدل واقعنا المؤلم. فهل تسعى مستمعي للبحث عن السعادة الحقّة وكيفية الحصول عليها؟

أين تكمن السعادة الحقّة إذن؟ وكيف نمتّع نفوسنا بها؟ لقد أجابنا المخلص المسيح عن هذه التساؤلات الهامة عندما قال: « تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم. احملوا نيري عليكم وتعلّموا مني. لأنني وديع ومتواضع القلب. فتجدوا راحةً لنفوسكم. لأن نيري هينٌ وحملّي خفيف» (بشارة متى ١١: ٢٨-٣٠).

نلاحظ في هذه الآية المقدّسة، أن المخلص المسيح قد كرّر تعبير الراحة مرتين. وهذا التعبير يشير إلى راحة القلب أو سعادته. فذكر المسيح أولاً: أنه سيريح كل من يأتي إليه متعباً وثقيل الحمل. أي كل من يعترف أن الخطيّة قد أتعبتّه، وأن ثقلها قد أصبح كبيراً. ثم ذكر المسيح ثانية: أن كل من يؤمن به ويتعلّم منه، سيجد الراحة لنفسه المتعبة، أي سيجد السعادة الحقّة. فكما لاحظنا من



## خدمة الإذاعة العربية

تجربة الملك سليمان الحكيم، أن أمور هذا العالم المادي وعظمته وشهوته، لن تستطيع البتة إعطائنا الراحة، أو السعادة التي نتوق إليها.

لكن تبين لنا أن المخلص المسيح هو الوحيد القادر على وهبنا الراحة أو السعادة. ولهذا قال المخلص المسيح مرة: « كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً. ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد. بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية» (بشارة يوحنا ٤: ١٣ و١٤). أي أن كل من يشرب من ماء هذا العالم المادي وملذاته وشهوته، لن يجد أبداً الإرتواء الحقيقي، وسيطلب دائماً المزيد والمزيد. لكن من يأتي إلى المخلص المسيح، ويشرب من ماء الحياة الذي يقدمه مجاناً، لن يعطش أبداً، وسيختبر الإرتواء الحقيقي، ويجد الراحة والسعادة لنفسه المتعبة.

هذا هو الأمر الذي يجب أن يختبره كل إنسان يبحث عن السعادة والراحة. مع العلم أن كثيرين من البشر قد أتوا إلى المخلص المسيح فوجدوا عنده ما كانوا يبحثون عنه منذ زمن طويل. وتأكدوا أنه هو وحده معطي الراحة والسعادة. هل تعبت مستمعي في البحث عن الراحة؟ وهل تشكو من سيطرة الخطيئة على نفسك؟ تعال إذن بتوبة صادقة إلى الله، مؤمناً بالمخلص المسيح الذي كفر عن ذنوبك بموته على الصليب. وهو الذي يدعوك قائلاً: تعال إليّ فتجد الراحة أي السعادة لنفسك المتعبة.